المدارس العراقية في العصور الاسلامية وأثرها في البناء المجتمعي

أ.م.د. محمد رياض حامد الحميري
جامعة سامراء- كلية الإدارة والاقتصاد
mwmb1983@gmail.com

م.م. رؤوف عبد الرزاق نوري الكلدار
جامعة سامراء – كلية الهندسة
Rauoof.nori@uosamarra.edu.iq

تاريخ استلام البحث ٢٠٢٥/٢/١٠ تاريخ قبول النشر ٢٠٢٥/٣/٢٠

الملخص:

تُعتبر المدارس العراقية في العصور الإسلامية من أبرز المؤسسات التعليمية التي ساهمت في البناء المجتمعي، حيث كانت هذه المدارس مصدر نور يشع بالعلم والمعرفة، ومصدرًا للإشعاع الفكري والثقافي كما أنها لعبت دورًا محوريًا في بناء المجتمع الإسلامي وتطوره من خلال تكوين العقول وتأصيل القيم والمبادئ فقد ظهرت المدارس في العراق في العصر العباسي، وانتشرت بشكل واسع في مختلف المدن، مثل بغداد والكوفة والبصرة وكانت هذه المدارس تقوم على تدريس العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والفلسفية، بالإضافة إلى العلوم التطبيقية مثل الطب والهندسة والفلك وقد ساهمت هذه المدارس في إيجاد بيئة علمية خصبة، شجعت على البحث والإبداع، وأدت إلى ظهور العديد من العلماء والمفكرين، كما لعبت المدارس العراقية دورًا حاسمًا في تكوين النخب المثقفة التي قادت المجتمع وقادت مسيرة التطور الحضاري ومن خلالها انتشرت الثقافة المعرفية بين مختلف شرائح المجتمع، مما أدى إلى رفع مستوى الوعي العام وتعزيز التماسك الاجتماعي من خلال توفير مكان للقاء وتبادل الأفكار بين مختلف الطبقات الاجتماعية، ونتيجة هذه المحافل كانت في مقدمتها الحفاظ على الهوية الإسلامية من خلال تدريس العلوم الشرعية وتأصيل قيمها النبيلة وتأثر الحضارات الأخرى بهذه القيم ومن ابرز تلك المدارس المدرسة الكوفية والبصرية والنظامية والمستنصرية.

الكلمات المفتاحية: المدرسة، العصر الإسلامي، الحضارة، البنية الاجتماعية.

المقدمة:

بســم الله الرحمن الرحيم والصــلاة على ســيد المرســلين محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصــحابته الغر الميامين.

كان للعراق دور كبير في زراعة بذرات العلم والمعرفة بين افراد المجتمع الذي يعيش على ارضـــه والمجتمعات المجاورة له فمن خلال تلك الحلقات المتسمة بالبساطة المنتشرة في المساجد شع نور العلم ليتجلى اثره في ارجاء المعمورة وعظم التلاقح الفكري المتأصل من حضارة تعاقبت وتركت ارض خصبة ووطناً متطلعاً ومتعطشاً للمعرفة فقد ساعدت هذه الصفات على تطور تلك الحلقات وتحولها الى مؤسسات تعليمية ومدارس اسلامية كبيرة، لذا فان اهمية بحثنا هذا عن تلك المدارس التي تعتبر إرثًا حضــاريًا عريقًا، ولا يزال تأثيرها حاضــراً حتى يومنا هذا، فقد اتبعت في دراســتي لهذا الموضــوع المنهج الوصــفي لنماذج من المدارس العراقية في العصــور الاســلامية التي اعتبرت الحدود الزمانية للدراسة كما ان الحدود المكانية للدراسة واضحة من خلال العنوان، اما اختيار المعلم كان مبني على شروط منها ان يكون عالماً بأمور الدين وحافظاً للقران وقوي اليقين بالله عز وجل وقائم بشــعائر الدين من الصــوم والصــلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والزكاة وكاظم غيظه حليما وعارفا بالكتابة والقراءة وحســن الخط وله معرفة بالحساب.

لقد عززت مدارس الفقه العراقية النهضة المعرفية من خلال انتشار المذاهب الأربعة، مما جعل مدارس العراق تتصف بغزارة النتاج والتأليف والســباقة بالحركة العلمية والعقلية؛ بســبب تأثرها بالتنوع البيئي والتوســع الاجتماعي فاتجه الباحثين الى دراسة العقل البشري والتعرف على قوانينه مما أدى الى تغير أفكارهم والوقوف على الأسباب التي أدت الى ذلك التغيير هو تأثرهم بعلوم ونتاجات الامم المحيطة بهم فنتاج ذلك التغيير هو القوانين العامة للعلوم العقلية.

وقسمت البحث الى مبحثين المبحث الأول (المدارس الفقهية في العراق) واشتمل عدت مطالب منها المطلب الاول: المعلمون وتعليم الصبية، والمطلب الثاني: المدارس الفقهية، والمطلب الثالث: مدارس العراق في العصر العباسي، اما المبحث الثاني (وصف الحركة العلمية في العراق) اشتملت ايضا المطلب الاول: العلوم العقلية والنقلية، والمطلب الثاني: عصر الترجمة، والمطلب الثالث: النهضة المعرفية.

وايضا الخلاصة تضمنت أبرز ما توصلت اليه في هذه الدراسة وفهرس للمصادر والمراجع المستخدمة في هذه الدراسة.

المبحث الأول: المدارس الفقهية في العراق

المطلب الاول: المعلمون وتعليم الصبيان

المعلم: اشـــتقت كلمة المعلم من الفعل (علم)، وفلان متعلم أي له من يُعلمه (ابن منظور, ١٩٦٨، ٤١٧/١٢)، وقد كانت كلمة معلم منذ عهد الرسول (ρ) في كثير من الروايات مقترنة بتعليم الصبيان، ويذكر بانه كان في المدينة ثلاث معلمين (ابن عساكر، ١٩٨٧، ٤١٥/٦)، وقد تم وصف المعلم الذي يعلم الصبيان الكتابة عن طريق نسخ الحِكم والامثال بـــ(المُكتِب) وقد كان هناك لقب اخر للمعلم الذي يُعيّن كمعلم خصوصي بـــ(المؤدب) وهذا ما ذكره عبد الملك بن صالح (ت:١٩٦هـــ)، (عبد الملك بْن صـــالح: بْن علي بْن عبد اللَّه بن العباس بن عبد المطلب، أبو عبد الرحمن الهاشـــمي، ان من رجالات قريش وكفاتهم، ولي المدينة والصـوائف في أيام الرشـيد، ثم ولاه دمشـق كان عبد الملك أفصـح الناس وأخطبهم، ولم يكن في دهره مثله في فصـاحته وصـيانته وجلالته، وله شـعر ليس بالكثير، وأخبار حسـان. (الخطيب البغدادي، ١٩٩٦م، ١٦/ ٢٥) لمؤدب ولده بقوله "واعلم اني جعلتك مؤدباً بعد ان كنت معلماً، وجعلتك جليسـاً مقرباً بعد ان كنت مع الصـبيان مباعداً" (ابن قتيبة، ١٩٨٥م، ٧٦/١).

ولقد كان الإباء يهتمون باختيار معلمي صـــبيانهم فلا يختارون الا من كان عالماً بأمور الدين وحافظاً للقران وقوي اليقين بالله عز وجل وقائم بشـعائر الدين من الصـوم والصـلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والزكاة وكاظم غيظه حليما وعارفا بالكتابة والقراءة وحسن الخط وله معرفة بالحساب (القرشي، ١٩٧٦م، ٢١٦).

بالإضافة الى مظهره الخارجي فيجب ان يكون نظيفا طيب الرائحة باعتباره أنموذجا صالح يقلدونه الصبية "فأعين التلاميذ اليه ناظرة آذانهم اليه مصـغية، فما اسـتحسـن فهو عندهم الحسـن وما اسـتقبح فهو عندهم القبح" (الغزالي، ١٩٨٣م، ٤٨)، وغيرها العديد من الصفات التي يطول الشرح بها.

اما عن **مكانة المعلم الاجتماعية** فقد كانت مرتفعة في الإسلام؛ لأهميتها الكبيرة في تعليم صبيان المسلمين القراءة والكتابة خصوصاً قراءة القران الكريم، وتعليمهم بعض العلوم الأولية التي تعينهم في مجالات حياتهم (ابن قتيبة، ١٩٨٥، ١٨٤/٢.).

اما عن الوضـع المالي للمعلمين كان شـحيحاً في اغلب الأحيان فاغلبهم كانوا زهاداً يرضـون بالقليل او كانوا يتبعون الاولين في عدم حصـــولهم على أي أجور باعتبارهم يعلمون مبادى الدين والقران، الا ان تدني الوضـــع المالي لمعلمي الكتاتيب عرضـــهم الى الحرمان (احمد شـــلبي ، ١٩٥٤م، ٢٣٨)، وفي هذا الاطار يجب أن نؤكد بان أجور معلمي الصـــبيان كانت غير محددة، الا ان الجاحظ حدد أجور المعلم بقوله "يكون الرجل نحوياً، عروضياً، وقساماً فرضياً، وحسن الكتاب، جيد الحساب، حافظاً للقران، رواية للشعر، وهو يرضـى ان يعلم أولادنا بسـتين درهماً" (الجاحظ، ٢٠٠٣م، ٤٠٣/١)، وبعض الاجر يؤخذ عينا مثل ارغفة الخبز التي كانت تؤتى للمعلم التي كانت تختلف حسـب الوضـع المادي لأهالي الصـبية من الفقر والغنى والجود والبخل بدليل قول البعض عن المعلم "هو افره الناس وصـــيفا، واكثرهم رغيفا" (ابن ســـعد الآبي، ٢٠٠٤م، ٣٢٦/٥).

المطلب الثاني: المدرسة الفقهية.

تعرف المدرسة لغةً: واصلها درس والتي تدل على عفاء وخفاء وخفض فالدرس هو الطريق الخفي (ابن منظور، ١٩٩٣م، ٧٩/٦).

اما اصطلاحاً: فهي المكان الذي يختص بالتدريس والتعليم ويكون فيه جماعة من العلماء والباحثين والمفكرين الذين يعتنقون مذهبا معينا يتشاركون بآرائهم ويقال هو على رأي فلان ومدرسته ومذهبه (مجموعة مؤلفين، د ـــــ ت، ٢٨٠).

ويعرف الفقه لغةً بانه اصل يدل على ادراك الشي والعلم به ويكون صحيح، وفي الأصل يقال عنه الفهم (ابن فارس، ١٩٧٩م، ٤/ ٤٤٢).

اما اصطلاحاً: فهو منظور شامل يشمل كل الاحكام من الوجدانية من الاخلاق والتصوف ووجوب الايمان فهو لا يخص موضوع معين، فعرفه أبو حنيفة بانه "معرفة النفس مالها وما عليها" (البخاري، ١٨٩٠، ٥/١).

ومن خلال كل ما تم ذكره فيمكن تعريف **المدرسة الفقهية**: هي الطريقة التي يقوم الفقيه بانتهاجها، فيأخذه غيره عنه ويتابعونه عليها فتصبح تيار او مسلك يتميزون بها عن غيرهم.

لقد عززت وساهمت المدرسة الفقهية في العراق النهضة المعرفية؛ بسبب ظهور وبروز وانتشار المذاهب الأربعة، بالإضافة الى غزارة النتاج والتأليف الفقهية التي خلفتها هذه المدارس والتي ساهمت بشكل فعال في هذه النهضة المعرفية، "وقد نسبت المدارس في بداية الامر الى المدائن التي نشأت فيها، فالمدينة المنورة هي مهد مدرسة اهل الحديث، والكوفة مهد مدرسة اهل الرأي، ثم خرجت كل واحدة من المدرستين من مهدها، فشكلت تيارا له أتباعه في مختلف ديار الإسلام... " (الأشقر، ١٩٩٨م، ١١).

فاشتهرت مدرسة الكوفة الفقهية بفقه ابن مسعود الذي يعد اول من جهز مكة بالقرآن والذي يعتبر من كبار الصحابة واكثرهم عقلا وفضلا وفقها للكتاب والسنة وملازمة للرسول محمد (ρ) واخذ عنه فقهاء العراق والتابعين واشهرهم مسروق ابن الاجدع (ابن حجر العسقلاني، ١٩٨٦م، ٥٢٨/١) وعلقمة (علقمة بن قيس: أخو يزيد بن قيس النخعي الكوفى أبو شبل كان من أشبههم بعبد الله بن مسعود هديا ودلا وكان قد غزا خراسان وأقام بخوارزم سنتين ودخل مرو فأقام بها مدة يصلى ركعتين ومات سنة ثنتين وستين. البُستي، ١٩٩١م، ١٦١/١) بين قيس وعمرو ابن شرحبيل (عمرو بن شرحبيل: أبو ميسرة الهمداني من أهل الكوفة من العباد كان ركبته كركبة البعير من كثرة الصلاة يروي عن عمر بن مسعود روى عنه أبو إسحاق السبيعي مات في الطاعون قبل أبي جحيفة سنة ثلاث وستين وقد قيل إن اسم أبي ميسرة عمرو بن شراحيل وهذا ليس بصحيح والصحيح شرحبيل. البُستي، ١٩٧٣م، ١٦٨/٥) وغيرهم الكثير، اما اصول منهج الفقه عند مدرسة الكوفة كان على مذهب ابي حنيفة الذي اعتمد على مصادر التشريع المتفق عليها عند جمهور العلماء لكنه تميز بمنهج مستقل في الاجتهاد وطريقته الخاصة باستنباط الاحكام التي لا تقف عند النصوص بل تغوص الى المعاني وتتعمق بالغايات والمقاصد، فرتب منهجه الفقهي على القران الكريم اولا والصحاح من احاديث الرسول ρ اما اقوال الصحابة فكان يتخير منها ويتأكد من نسبها وصحتها ثم يأخذ آراء المجتهدين باستخدام العرف والاستحسان

والقياس مجتهدا كما هم مجتهدون، وكانت المسائل والقضايا التي تطرح في حلقته مبنية على الاقناع بالراي والسؤال، فكان يعرضـــها على تلاميذه ويحاورهم ويناظرهم فيها وكان الرأي مجمعا عليه من الفقهاء الذين لهم الحق بالأجماع، فهنا يكمن اختلاف مدرســـة الكوفة الفقهية التي كانت تأخذ بالراي على عكس مدرســـة المدينة التي تأخذ بالأثر وهذا الاختلاف ليس في مصادر المنهج والتشريع بقدر ما كان الاختلاف في التلقي (صلاح الدين، د ـــ ت ، ٢٢٩-٢٣٠).

لقد اعطى العلماء والفقهاء طرائق التدريس واساليبها في مدرسة الكوفة الفقهية اهتماما خاصا فلم يكن لهم كتابات ومصـنفات في هذا الجانب، فكانت اغلب حلقات الدرس والتعليم في المسـاجد حيث يتخذ الشـيخ او الاسـتاذ ناحية او زاوية من زوايا المسجد ليلقي دروسه بها، وكانت المصادر تشير الى ان ابي حنيفة كان يحضر الدرس وهو حسن الهيئة يعرف بريحه الطيب حيث اذا خرج من منزله تعرف قبل ان تراه، وكانت له طريقة خاصة مع تلاميذه تختلف عن طريقة الاسـتاذ للتلميذ فيسـتمعون اليه ويكتبون عنه دون ان يناقشـه او يجادله أي احد منهم، ولم يكن يسـتبد رايه ولا يرى حرجاً اذا كان في قول احدهم قول اقرب الى الصواب منه وكانت هذه من خصائص مدرسة الكوفة التي ترأسها الامام ابي حنيفة، وكانت من سـمات منهج مدرسـة الكوفة الفقهية التربوي هي التأكيد على احترام العلم واهله، والتأكيد على رعاية طلبة العلم من خلال توفير الاجواء المناسبة التي تتيح لهم التلقي بكل يسر و سهولة (صلاح الدين، ٢٤١-٢٤٢).

اما **مدرسـة الكوفة النحوية** فتعد من المدراس حديثة العهد اذ تم قياسـها بمدرسـة البصـرة التي سـبقتها بالدراسـة فكانت الاتصالات بين الكوفة والبصرة مستمرة منذ تمصيرها فلم يكن أي شيء يحدث في البصرة دون ان تجد صداه في الكوفة وما عرف أي شيء في الكوفة إلا وظهر اثره في البصرة فاستقلت عنها تدريجيا في مواضيع دراستها سواء أكانت في علوم القرآن او غيره من العلوم الشـرعية او كانت شـعرا او نثرا، فاتخذ الكثير من البصـريون الكوفة مسـتقر ومقام لهم؛ لأنها كانت مركز ســياســي لفترة طويلة للأمصــار الشــرقية وكانت مركزا للفقه والادب والشــعر والقراءة والحديث، فظل التنافس بين هذين المصــرين شــديدا من الناحية العلمية حتى طال التنافس والتناظر من الناحية الثقافية بين مجالس الخلفاء (المخزومي، ١٩٥٨م، ٦٥-٦٦).

ومن اهم العوامل التي سـاهمت في انشـاء مدرسـة الكوفة النحوية هو **العامل الاجتماعي** اذ تميز المجتمع باختلاط الثقافات ما بين الثقافة العربية الإسـلامية والثقافة اليونانية واخبار اليهود والسـريانيين والفرس ولهذا الاختلاف الأثر في تكاثر الاحداث الاجتماعية والمظاهر المختلفة اذ كانت كل حادثة لها حل معين حســب شــرع كل فرد وهذه الاختلافية قد وسـعت عقول العالم وسـاعدته الى اسـتيعاب جميع الأمور وإخراج حل لجميع المسـائل (شـمس الدين الذهبي، د ـــ ت، ١٠٢/٤)، اما **العامل الثقافي** فله الدور أيضا اذا ان الجو العلمي المتنوع ساهم في انشاءها خصوصاً بعد قيام مجموعة من الجماعات باحتضـان العلوم التي تمت وراثتها مسـبقا وازهرت فيما بعد، وايضـا لا يفوتنا ان ننوه بان حركة الترجمة والنقل التي وفدت من خلال ثقافات الأمم في تلك البيئة جعلت الكوفة موطن الفرق المختلفة، وهذا الاختلاف أدى الى شـيوع مناظرات بين الجماعات لمحاولة كل فرقة اثبات بانها الصـائب، فاصـبح العصـر مزدحما بالآراء والأفكار التي انتجت الاندماج الديني والحركة العلمية والفنون الأدبية بين الثقافة اليونانية والعقول العربية(المكي، د ـــ ت، ٥٥)، ويجدر بنا الإشارة الى الفتن والحروب التي برزت على ساحة الاحداث كان لها الدور الكبير والبارز والتي تعد من **العوامل السياسية** في انشاء مدرسة الكوفة (احمد امين، ١٩٩٨، ٢٥٨).

المطلب الثالث: مدارس العراق في العصر العباسي.

لقد شاع في العصور العباسية الوسطى والاخيرة بناء المدارس والابنية العلمية والخيرية؛ لان الخلفاء كثيرا ما كانت تراودهم فكرة انشـــاء المدارس منذ بداية تاريخ الدولة فلذلك قاموا بأنشـــاء بيوت الحكمة لترجمة كافة العلوم ودوراً للعلم، لذلك منذ اواسـط القرن الخامس الهجري حظيت بغداد بإقامة العديد من المدارس والمعاهد العلمية القائمة بذاتها (يوسف شريف، ١٩٨٠م، ٩٤).

لم يكن في العصـــر العباســـي الأول مدراس وانما كانت معاهد مختلفة أولها **الكُتاب** وجمعها كتاتيب واختلفوا في تسميتها ما بين الكتاب والَمكتبٌ وفي العموم استخدمت الاثنتان كمكان لتعليم الصبيان مبادى القران والقراءة والكتابة واللغة والنحو والعروض ولا يأخذون على تعليمهم الاجر، اما النوع الثاني فهو **المســجد** فكان يعتبر اكبر معهد للدراســة فلم تكن المســاجد للعبادة فقط بل كانت تؤدي فيها اعمال مختلفة كمحكمة للتقاضـي أيضـا ومسـجد الكوفة ومسـجد البصـــرة هي اول المســـاجد التي تقوم مقام المدارس والجامعات في العراق، واســتمر المســـجد مكان لتعليم القران والحديث والفقهاء يعلمون الفقه والقصاص يعظون، وبسبب تنوع العلوم بالعصر العباسي تنوعت حلقات الدروس فهناك حلقة للنحو وحلقة للشعر والادب ومحلا لإنشاد الشعر ونقده وبهذا تكون المساجد اهم معهد للثقافة في الإسلام(احمد امين، ١٩٩٨م، ٢/ ٥٠-٥٣)، اما النوع الثالث من معاهد العلم هي **مجالس المناظرة** التي كانت تحدث في القصـــور والدور والمسـاجد وبين العلماء والخلفاء في النحو والفقه واللغة والصـرف والمسـائل الدينية وذلك للوصـول الى الحق فاغلب المسـائل العلمية لم تقرر بعد ولم يكن لها شـكل ثابت وكانت هذه المناظرات فسـيحا من الناحية العلمية البحتة، وكانت كتب الفقه وطبقات الفقهاء تحوي على مناظرات كصـيرة خصـوصـا بين أصـحاب مالك وأصـحاب ابي حنيفة وبين المحدثين والفقهاء والشـــافعي ومحمد بن الحســـن، وأيضـــا ما جاء في كتب النحو من مناظرات بين العلماء في اللغة والنحو والصرف (احمد امين، ١٩٩٨، ٢/٥٤-٥٥).

ومن معاهد العلم ألأخرى التي تعتبر من أعظم المعاهد الثقافية والتي أنشـئها العباسـيون في زمن المأمون هو **بيت الحكمة** في بغداد سنة (٨٣٠هـــ) ويعتبر خزانة للكتب النفيسة التي ألفها العلماء والادباء في التاريخ واللغة والفقه وعلم الكلام وبمختلف النصوص واللغات (فيليب، ١٩٨٠م، ٢/ ١٢٤).

ومن اهم التطورات التي شـهدها القرن الخامس عند العباسـيين هو انشـاء **المؤسـسـات التعليمية النظامية** التي أسـسـها نظام الملك السـلجوقي (نظام الملك: الوزير الكبير قوام الدين أبو علي الحسـن بن علي ابن إسـحاق الطوسـي، عاقل، سـائس، خبير، سـعيد، متدين، محتشـم، عامر المجلس بالقراء والفقهاء، أنشـأ المدرسـة الكبرى ببغداد، وأخرى بنيســابور، وأخرى بطوس، ورغب في العلم، وأدر على الطلبة الصـلات، وأملى الحديث، وبعد صـيته، وكان أبوه من دهاقين بيهق، فنشأ وقرأ نحوا، وتعانى الكتابة والديوان، وخدم بغزنة، مولده في سنة ثمان وأربع مائة، وقتل صائما في رمضـان، أتاه باطني في هيئة صـوفي يناوله قصـة، فأخذها منه، فضـربه بالسـكين في فؤاده، فتلف، وقتلوا قاتله، وذلك ليلة جمعة سنة خمس وثمانين وأربع مائة، بقرب نهاوند. شمس الدين الذهبي، دـــــ ت،١٤٤/١٤) والتي تعرف **بالمدرسة النظامية** ببغداد (٥٤٠٥) ومثلها بالبصـرة والموصـل واصـبهان ونيسـابور ولكن كانت نظامية بغداد كان لظهورها تحولاً كبيراً في مســـار التعليم في العالم الإســـلامي فله تأثيرات كبيرة في الواقع الفكري والثقافي والديني للمســـلمين،

فاستخدام نظام الملك أسلوب العلوم والمعارف لتحقيق مشروعه السياسي، فنشطت حركة التأليف والثقافة فاصبحوا السلاجقة كبقية الحكام قد اثبتوا وجودهم بتواجد الادباء والعلماء والشعراء، فأنشأت النظاميات في اهم الحواضر الشرقية واهمها ببغداد باعتبارها تحتل مركز القيادة والتوجيه الفكري وباعتبارها عاصمة للدولة العباسية، بالإضافة الى وجود جهة مراقبة لعمل المدارس والتدقيق في محتوياتها واطارها وكان اختيار المعلمين والمدرسين والطلبة يكون من قبل نظام الحكم وتامين كافة احتياجاتهم من راتب وسكن ونفقات المدرسين وبهذا كانت المدرسة النظامية النواة الاولى لقاعدة مهمة والتي هي انشاء مدارس من قبل الدولة بحيث تكون مستقلة عن المساجد (صديقي، ٢٧٢-٢٧٣).

ومن الاسباب المهمة التي عملت على انشاء المدارس من قبل العباسيين هي:

١ . معرفة دور الخليفة في التعليم وارساء مبدا وواجب الدولة في الاهتمام بادارة التعليم

٢ . لمعرفة كيفية تسيير العملية التعليمية في ذلك الوقت؛ لان التعليم كان له اصول ومنهج، وأكبر دليل ما وصلنا من معلومات عن شروط المعلم والمتعلم والفن الذي يدرس، وتوفير مستلزمات التدريس من غرف وقاعات ومكملات اخرى تتطلبها المدارس من مخازن ومكاتب وحمامات وغيرها باعتبار بان المدرسة هي مؤسسة تعليمية متكاملة ناهيك عن الاموال التي يتم صرفها على هذه الامور من رواتب وغيرها.

٣ . الوقوف على العلوم التي يتم تدريسها في تلك الفترة وهذا يعتبر من الامور المهمة لمعرفة المستوى العلمي السائد في تلك الفترة (الويسي، ٢٠٢٠م، ٣).

المبحث الثاني: وصف الحركة العلمية في العراق

خطت الأمة الاسلامية خطوات جديدة في حركتها العلمية والعقلية؛ بسبب تأثرها بالتنوع البيئي والتوسع الاجتماعي فاتجه الباحثين الى دراسة العقل البشري والتعرف على قوانينه مما أدى الى تغير أفكارهم والوقوف على الأسباب التي أدت الى ذلك التغيير هو تأثرهم بعلوم ونتاجات الامم المحيطة بهم فنتاج ذلك التغيير هو القوانين العامة للعلوم العقلية (احمد امين، ١٩٩٨، ٢/١-٢).

فبدأ الاتجاه يتجه نحو تميز العلوم فيما بينها وذلك في أوائل العصر العباسي فجمعت كل المسائل الخاصة بالعلوم على حدى وجمعت جميع المسائل المتشابهة في باب واحد، فأصبحت هنالك نوعين من الدراسات **الأولى دينية** حول القرآن والحديث **والثانية دنيوية** حول الطب ولكل نوع مميزات ومنهج خاص به وان اثر كل واحد منهم بالأخر وتأثر به، ولا ننسى ان الدولة العباسية اصبح الأغلبية فيها الفرس ولم تعد الأمور بيد العرب كما كانت سابقا، فامسكوا بزمام الأمور منها أمور العلم حتى نهضوا به وقادوا حركته على وفق منهج اممهم قبل الإسلام، بالإضافة الى الحياة الاجتماعية في العراق واختلافها عن الشام جعلته في حاجة ماسة لنوع من العلوم فدجلة والفرات تلجئ لنظام في الراي يختلف عن ري الشام فيكون النظر الى الخراج نظرا جديدا، وأيضا هنالك عوامل شخصية اثر في العلم لو لم تكن لأخرت سير العلم فمثلا ضعف معدة ابي جعفر المنصور جعله يهتم كثيرا بالطب فشجع الأطباء على البحث في الطب والترجمة والتأليف فكان كل هذا نواة للعلوم العقلية (احمد امين، ١٩٩٨، ٢/١١-١٥).

المطلب الاول: العلوم العقلية والنقلية.

كانت للعلوم العقلية والنقلية منهج خاص في التأليف والبحث، فالمنهج الخاص بالعلوم العقلية اعتمد على الرواية وصحة السند، فالمؤلفون يعتمدون على نقل ما روى من تفسير الآيات عن الصحابة والتابعين، اما في علم الحديث فاصبح اهم ما يشغل المحدث هو جمع الاحاديث وامتحان اسانيدها لمعرفة الحديث الصحيح من غيره وهذا ما يقال أيضا عنه في علوم الادب واللغة بعد تأثرهم بالعلوم الدينية، اما العلوم العقلية كالطب والرياضة والطبيعة فيعتمدون على الحقائق بعد امتحانها علميا اما عن طريق التجربة او وضعها تحت قواعد المنطق لمراقبة نتائجها ليحكموا عليها بالصواب أو الخطأ، وبهذا ظهر نوع اخر من العلوم بين المنهجين العقلي والعلمي وهو الفقه، فالكثير من الفقهاء لم يعتمدوا على المنهج النقلي من الاستدلال بالآيات او الاحاديث فقط بل استعملوا الدليل المنطقي في تأييد مذهبهم والرد على خصومهم، فأصحبت المسائل لا يحتج بها من السماع فقط بل عن طريق البرهان العقلي ايضا (احمد امين، ١٩٩٨، ٢/ ١٦).

المطلب الثاني: عصر الترجمة.

لقد كان العصر الذهبي للترجمة في العصر العباسي الأول حيث فتح باب الترجمة لنقل التراث العالمي الموجود في أمهات كتب الرومان والاغريق والهنود والفرس الى اللغة العربية وهذا جاء بسبب الاقبال المتزايد من المسلمين على دراسة العلوم المختلفة فبدأت حركة الترجمة في زمن أبو جعفر المنصور(١٣٥-١٥٨هـ) الذي عمل على ترجمة كتب الآداب والهندسة والنجوم والطب (الصبحي، ١٩٦٠م، ١٠)، فبدأت الترجمة في اول الامر بترجمة لفظية والتي سار عليها يوحنا بن بطريق وابن ناعمة الحمصي حيث شاعت طريقتان لها الأولى تكون بوضع ما يقابلها من ترجمة في اللغة المترجم اليها مع مراعاة ان تكون الترجمة نفس المعنى ومتوفرة بها بعض الخصائص بقدر المستطاع اما الطريقة الأخرى فهي قراءة العبارة وفهم معناها وما ترمي اليه وترجمتها الى لغة المترجم اليه (النعماني، ١٩٨١م، ٤٠)، وكانت من اهم الدوافع التي جعلت العرب يتجهون نحو الترجمة هي الرغبة للاطلاع على ما يمتلكونه الأمم الأجنبية من آداب وعلوم ومعارف، وبسبب المناظرات والجدل الديني خصوصا بعد كثرة المناقشات والمجادلات في القضاء والقدر بهذه المجالس، ولمعرفة المنطق والفلسفة اليونانية ، وأخيرا أصبحت الأمم الأجنبية التي اعتنقت الديانة الإسلامية وانضوت تحت لوائه تدون آدابها وعلومها باللغة العربية التي تعلمتها من الدين او بسبب انتشار العربية عندهم (معروف ناجي، ١٩٦٩م، ٤٣٠).

المطلب الثالث: النهضة المعرفية.

تعرف النهضة بانها مصطلح جاءت من نهض أي نهض من مكانه وقام، وقوم ينهضون في امرهم ويقوون به، والنهضة هي القوة والطاقة (ابن منظور، ١٩٩٣، ٢٤٥/٧)، اما المعرفة فهي مصطلح جاء من العرف تدل على الطمأنينة والسكون ومنها العرفان والمعرفة، وهي "ادراك الشي بتفكير وتدبر لأثره، فهي اخص من العلم، ويضاده الانكار، ويقال: فلان يعرف الله ورسوله" (الزبيدي، ١٩٩٦، ٢٤/ ١٣٣)، وبهذا تكون النهضة المعرفية هي القيام بالمعارف المختلفة والارتقاء بها من خلال ضوابط واسس معينة تتعلق بالتدبر والتفكير والادراك (السامرائي، ٢٠٢٠م، ٨٤٤).

لقد شـــهد الفقه الإســـلامي ازدهار وتقدم وتطور في حياة ائمته وتلاميذهم من بعدهم الذين كانت لهم مدارس في الامصـار خلال القرنين الثاني والثالث الهجري، فكان التأليف مسـتنبط من الأدلة الموجودة في الكتاب والاجماع والسـنة والقياس للحكم، وكان الأسـلوب المسـتخدم للكتابة ميسـرا سـهلا لا تعقيد فيه والحكم صـريح والعبارة واضـحة وطرائق الاسـتدلال بينة، وقليلا ما توجد فيه التعريفات الفرضية بعيدة الاحتمال فالعصر الحديث ورث التراث الفقهي القديم ما له وما عليه، وفي هذا الوقت تطورت فيه أســاليب التأليف شــاملة التجديد في كل المواد فاصــبح الناس بحاجة الى التجديد في التأليف الفقهي من خلال الإخراج والتحقيق، وأيضــا البحث الموضــعي الذي يقارن المذهب مع المذاهب الأخرى او القوانين الوضعية (القطان، ٣٩٧-٣٩٨)، وعند النظر الى التأليف الفقهي في المدارس التابعة للعراق سنجد نتاج غزير لا يستغني عنه المتخصصين والمهتمين و طلاب العلم، هذا النتاج شمل جميع المذاهب سواء كان حنفي او مالكي او شافعي او حنبلي، فجميع ما ذكر ساهم بتعزيز النهضة المعرفية التي كانت موجودة آنذاك (زيدان، ١٩٦٩م، ١٦٠)، ودليل ما قاله الشافعي رحمه الله "الناس عيال على اهل العراق في الفقه" (ابن ابي حاتم، ٢٠٠٣م،١٦١).

الخلاصة

١ . اعتبرت المدارس الإسلامية في العراق القرآن الكريم والسنة النبوية من اهم مصادرها معتمدين على تفسيرها في تحديات التجديد الفكري الذي شهدته مناطق تلك المدارس.

٢ . تميزت مناهج المدارس الإســلامية العراقية بالعودة الى منابع الفكر الأصــلية والابتعاد عن التقليد الفكري والاستئناس ببعض الأمور في أفكار من سبقهم.

٣ . تحقيق المساوات بين الرجل والمرأة والفقير والغني في طلب العلم.

٤ . من خلال هذه الدراسـة تبين ان للعلم والعلماء فضـل على المجتمع وأثر كبير إذ انقسـمت العلوم في حقبة الدولة العباسـية الى علوم عقلية ونقلية ثم ظهرة مجالس المناظرات التي أسـهمت اسـهاماً كبيراً في النهضـة المعرفية وظهور مؤسسات تعليمية كبيرة مثل بيت الحكمة.

٥ . ان العلماء المسلمين الذين ترجموا ونقلوا من مؤلفات أمم وشعوب وحضارات بعيدة كان لهم دور كبير في التعرف على علوم جديدة وتطير العلوم المتداولة في تلك الحقبة.

٦ . تعامل الخلفاء العباســيين مع المدارس العراقية بكل جدية وحرفية عالية وثبتوا دعاماتها ادارياً من خلال توفير كل الظروف التي تحقق نجاح تلك المدارس.

٧ . عاش المجتمع العراقي في ضـل فترة ازدهار الدولة العباسـية حياة مسـتقرة سـياسـياً واقتصـادياً فتحقق التوازن الاجتماعي مما أدى الى توفر فرص التعلم والانخراط في المدارس الإسلامية.

٨ . ســاعد الموقع الجغرافي للمدارس الإســلامية العراقية على توافد طلاب العلم من مختلف البقاع والانتفاع من تلقي العلوم وتلقي الدعم المالي من إدارة تلك المدارس.

٩ . ساهمت المدارس الإسلامية في العراق بشكل كبير بنشأة المذاهب الفقهية وانتشارها مما أدى الى غزارة الإنتاج والتأليف الفقهي الذي خلفته تلك المدارس.

فهرس المصادر والمراجع

١. ابن ابي حاتم: عبد الرحمن بن محمد، آداب الشافعي ومناقبه، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠٣م.

٢. ابن سعد الآبي: منصور بن الحسين الرازي(٥٤٢١ه)، نثر الدر في المحاضرات، ط١، تح: خالد عند الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.

٣. ابن عساكر: أبو القاسم العلي بن الحسين، تهذيب تاريخ دمشق، ط٣، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٧م.

٤. ابن فارس: احمد، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٥. ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم، عيون الاخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

٦. ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

٧. ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣م.

٨. احمد امين: ضحى الإسلام نشأة العلوم في العصر العباسي الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.

٩. احمد امين: فجر الإسلام، ط١٠، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

١٠. احمد شلبي: تاريخ التربية الاسلامية، ط١، دار الكشاف للنشر والطباعة، بيروت، ١٩٥٤م.

١١. الأشقر: عمر سليمان، المدخل الى دراسة المدارس والمذاهب الفقهية، دار النفائس، عمان، ١٩٩٨م.

١٢. البخاري: علاء الدين عبد العزيز بن احمد(٥٧٣٠ه)، كشف الاسرار عن أصول فخر الاسلام البزدوي، ط١، دار الكتاب الاسلامي، مطبعة سنده، ١٨٩٠م.

١٣. البُستي: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي (ت: ٣٥٤هـ)، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، ط١، تح: مرزوق على إبراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة، ١٩٩١م.

١٤. البُستي: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي (ت: ٣٥٤هـ)، الثقات، ط١، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٧٣م، ١٦٨/٥.

١٥. تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

١٦. الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني(ت: ٥٢٥٥)، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٣م.

١٧. الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت: ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد وذيوله، ط١،

١٨. الزبيدي: محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهدية.

١٩. زيدان: عبد الكريم، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، دار عمر بن الخطاب، الإسكندرية، ١٩٦٩م.

٢٠. السامرائي: ايمن صالح مرعي، دور العراق في النهضة الإسلامية، مجلة كلية الإمام الأعظم الجامعة، المؤتمر العلمي الثاني لأقسام سامراء، ٢٠٢٠م.

٢١. شمس الدين الذهبي: محمد بن احمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ)، سير اعلام النبلاء، ط١، تح: مأمون الضاغرجي، مؤسسة الرسالة.

٢٢. الصبحي: محمد إبراهيم، العلوم عند العرب، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، مصر، ١٩٦٠م.

٢٣. صديقي: محمد الناصر، المدارس النظامية: نموذجا للتعليم المؤدلج في الحضارة الإسلامية، المعهد العالي العلوم الإنسانية بجندوبة، مجلة كلية الآداب، جامعة واسط، ع٢٠.

٢٤. صــلاح الدين حســين خضــير: منهجية واداب التدريس في المدارس الفقهية(مدرســة الكوفة أنموذجا)، كلية التربية للدراسات الانسانية، جامعة تكريت.
٢٥. الغزالي: أبو حامد محمد، الادب في الدين، ط٤، تح: عبد الله احمد أبو زينة، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٣م.
٢٦. فيليب حتي وآخرون: تاريخ العرب مطول، ط٤، غندور للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٠م.
٢٧. القرشـي: محمد بن محمد بن احمد، معالم القربة في احكام الحسـبة، تح: محمد محمود شـعبان و صـديق احمد المطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م.
٢٨. مجموعة مؤلفين: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار طيبة، القاهرة.
٢٩. المخزومي: مهدي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ط٢، ملتزم الطبع والنشر، مصر، ١٩٥٨م.
٣٠. معروف: ناجي، واصالة الحضارة العربية، ط٢، مطبعة التضامن، بغداد، ١٩٦٩م.
٣١. المكي: الموفق بن احمد (ت: ٥٦٨هـ)، مناقب ابي حنيفة، دار الكتاب العربي، بيروت.
٣٢. النعماني: شلبي، مجمع البحوث الإسلامية، تر: عبد العزيز عزت، ١٩٨١م.
٣٣. الويسي: زينب كامل كريم، المدرسة المستنصرية وأساتذتها (إبن الجوزي: ت٥٦٥ه)، مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ٢٠٢٠م.
٣٤. يوسف شريف: المدخل لتاريخ العمارة العربية الاسلامية وتطورها، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٠م.

قوتابخانە عێراقییەکان لە سەردەمی ئیسلامی و کاریگەرییان لەسەر پێکهاتەی کۆمەڵایەتی

پ.ی.د. محمد ڕیاز حامد الحیمیری
تەلەفۆن: ٠٧٧٠٢٨٥٦٤٤٦
ئیمەیڵ: mwmb1983@gmail.com
مامۆستای یاریدەدەر. ڕەئوف عەبدولڕەزاق نوری الکلدار

پوختە

قوتابخانەکانی عێراق لە سـەردەمی ئیسـلامیدا لە دیارترین دامەزراوە پەروەردەییەکان بوون کە بەشـداریان لە گەشـەسـەندنی کۆمەڵگادا کردووە. ئەم قوتابخانانە وەک چرای مەعریفە و ڕۆشـنگەری بوون، ڕۆڵێکی گرنگیان بینی لە داڕشتنی کۆمەڵگەی ئیسلامی بە پەروەردەکردنی عەقڵ و چاندنی بەها و پرەنسیپەکان. قوتابخانەکان بۆ یەکەمجار لە عێراق لە سەردەمی عەباسییەکان دەرکەوتن و بە شێوەیەکی بەرفراوان لە شارە جۆراوجۆرەکانی وەک بەغدا و کوفە و بەسرە بڵاوبوونەوە.

ئەوان سـەرنجیان لەسـەر فێرکردنی زانسـتە ئایینی و زمانەوانی و ئەدەبی و فەلسـەفیەکان بوو، لەگەڵ زانسـتە کارپێکراوەکانی وەک پزیشـکی و ئەندازیاری و فەلەکناسـی. ئەم قوتابخانانە ژینگەیەکی زانستی بەپیتیان دروستکرد کە هانی توێژینەوە و داهێنانیان دەدا، ئەمەش بووە هۆی سـەرهەڵدانی چەندین زانا و بیرمەند. قوتابخانەکانی عێراق

ڕۆڵێکی چارەنووسسازیان هەبوو لە پێکهێنانی نوخبەی خوێندەوار کە سەرکردایەتی کۆمەڵگایان دەکرد و ڕێنوێنی پێشکەوتنی کولتووری و شارستانییان دەکرد.

لە ڕێگەی ئەم دامەزراوانەوە، مەعریفە و کولتوور بەسەر چینە کۆمەڵایەتییە جیاوازەکاندا بڵاوبووەوە، هۆشیاری گشتی و بەهێزکردنی یەکگرتوویی کۆمەڵایەتی بە دابینکردنی فەزای کارلێککردن و ئاڵوگۆڕی بیرۆکە لە نێوان گروپە جیاوازەکاندا. یەکێک لە دەرەنجامە هەرە بەرچاوەکانیان پاراستنی شوناسی ئیسلامی بوو بە فێرکردنی زانستە ئایینییەکان و بەهێزکردنی بەها بەرزەکان کە تەنانەت کاریگەرییان لەسەر شارستانیەتەکانی دیکە هەبوو. نموونەی بەرچاوی ئەم قوتابخانانە بریتین لە قوتابخانەکانی کوفان، بەسران، نیزامییە، و موستەنسرییە.

وشەی سەرەکی: قوتابخانە, سەردەمی ئیسلامی, شارستانیەت, پێکهاتەی کۆمەڵایەتی.

Iraqi Schools in the Islamic Eras and Their Impact on Social Structure

First Researcher: Asst. Prof. Dr. Mohammed Riyadh Hamed Al-Himyari

Phone: ٠٧٧٠٢٨٥٦٤٤٦

Email: mwmb١٩٨٣@gmail.com

Second Researcher: Asst. Lecturer Raouf Abdulrazaq Noori Al-Kaldar

Abstract

Iraqi schools during the Islamic eras were among the most prominent educational institutions that contributed to societal development. These schools served as beacons of knowledge and enlightenment, playing a vital role in shaping the Islamic community by nurturing minds and instilling values and principles. Schools first appeared in Iraq during the Abbasid era and spread widely in various cities such as Baghdad, Kufa, and Basra.

They focused on teaching religious, linguistic, literary, and philosophical sciences, along with applied sciences like medicine, engineering, and astronomy. These schools created a fertile scientific environment that encouraged research and innovation, leading to the emergence of many scholars and thinkers. Iraqi schools played a crucial role in forming educated elites who led society and guided its cultural and civilizational progress.

Through these institutions, knowledge and culture spread across different social classes, raising public awareness and strengthening social cohesion by providing spaces for interaction and exchange of ideas among various groups. One of their most significant outcomes was the preservation of Islamic identity by teaching religious sciences and reinforcing noble values that even influenced other civilizations. Notable examples of these schools include the Kufan, Basran, Nizamiyya, and Mustansiriyya schools.

Keywords: school, Islamic era, civilization, social structure.